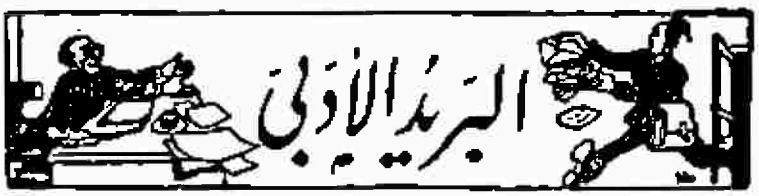

مستقبل الشعر :

تساءل الأستاذ « توفيق الحكيم » في عدد أخير من « أخبار اليوم » عن مستقبل الشعر والشعراء . وهل آن للدولة الشاغة أن تودع العالم بين صخب التطور وجلبة الاندفاع إلى المستقبل الذي تهرول نحوه الشعوب في سرعة لا تعرف البطء ، وعزم لا يدركه الكلال .

والذي دفع الأستاذ « الحكيم » إلى هذا التساؤل هو ما يراه من أفول يصيب نجم تلك الدولة الهرمة ، ثم حاول أن يعلل له بما كان من أمر هذه الديمقراطية التي جعلت الآداب موجهة إلى الطبقات الوسطى والدنيا قبل أن تكون موجهة إلى الخاصة ، وهذه الطبقات في رأي الأستاذ غير مهيئة لتلقي هذه الرسالة الرفيعة ، وأخيراً هذه السرعة المجنونة التي تلوذ بالسطح وتنفر من الغوص إلى القرار . والشعر فن يعتمد على التركيز والإيجاز ، فهو في حاجة إلى شيء من الذكاء وشيء من الاستقرار يهيئان افهمه والاستمتاع به .

والأستاذ « الحكيم » بعد هذا العرض وذلك التعليل متشائم ، ينظر إلى مستقبل هذا الفن الجميل نظرة الأسف المتحسر . فهل لهذه النظرة من أساس؟ وهل منطق الحوادث وأدلة الماضي والمستقبل تقف إلى جانبه ؟

يخيل إليّ أن الحق بجانب هذه النظرة التشاؤمية . فما هي الدعائم التي ينهض عليها الشعر ؟ وما هي الروح التي تنفخ في جذوته المقدسة فتشعلها وتذكي لهيبها ؟ وهل آن لهذه الدعائم أن تتقوض ، أو لتلك الروح أن تلفظ الأنفاس في المستقبل القريب أو البعيد ؟

إذا استطعنا أن نجيب على هذا السؤال كان لنا في الإجابة غناء عن تشاؤم الأستاذ أو تفاؤل غيره .

دعائم الشعر في نظري تنقسم قسمين :

قسم يخص الشاعر الذي ينشيء الشعر . وقسم يتصل بالقارىء . أما فيما يخص الشاعر فإن الدوافع التي تدفعه إلى تول الشعر ان ينضب معينها إلا إذا نضب معين الحياة ، واستجابة الأحياء لما تلقاهم به من ألوان الحوادث والتجارب التي تمتنع على العد ، وتستعلي على الإحصاء ؛ فدوافع الشعر ستظل خالدة خلود الطبيعة والإنسان . وعلى هذا فالشاعر ضرورة إنسانية باقية ، وحاجة روحية خالدة . وإن أقفرت بعض الفترات من وجود العبقريين من الشعراء ، فليس معنى ذلك أن الزمن سيخلو بأشالهم عقبا .

وفي التاريخ الإنساني لجميع الأمم شواهد ناصعة على ذلك ، وهي شواهد لا تقبل الجدل ولا اللجاج .

في الأدب العربي والإنجليزي والفرنسي وسائر الآداب ما يقيم الدليل على أن الشعر لم يمت وإن مرت به عصور أوشكت فيها روحه أن تفيض ، وأنفاسه أن تختنق .

وهنا تتراءى لنا مشكلة لا بد من إثارتها في هذا المجال . فقد كان الأسلوب الشعري هو الغالب في العصور القديمة ، وكان النثر تقتصد به مكانته دون التعبير عن العواطف الجائشة ، والإحساس المتدفق الفوار . أما في العصر الحديث فقد نهض النثر نهضة عظيمة ، وراح يزاحم الشعر مزاحمة ظاهرة في هذا المجال . فأدب المقالة اليوم هو في الذروة من حيث استيفاء

وقد أنكر محرر جريدة « الزمان » على فتاة متخرجة في كلية الآداب قصيدة غزلية نشرتها لها إحدى الصحف ، ذاهباً إلى أن هذا ليس من موروث عاداتنا ولا من طبيعة مجتمعنا ولا من طبيعة المرأة من حيث ميلها إلى أن تكون هي المطلوبة . وختم كلمته بفتح الموضوع للاستفتاء العام .

وأي شيء بقي من عاداتنا وتقاليدنا ؟ وهل وقفت المرأة عند طبيعتها تلك ؟

أعود إلى الآنسة أماني ، فقد نشرت « البلاغ » أبياناً بتوقيعها عنوانها « لوعة » جاء فيها هذا البيت :

أراني شقياً حزيناً فيا نفس أين الرجاء

وسياق الأبيات أنها هي المتكلمة ، فكيف تكون « شقياً حزيناً » ؟ هلا راجعت الأبيات وتأملتها قبل أن تدفع بها إلى النشر لتعرف ما ذا صنع الشقي الحزين ... ؟

عباس محمود

أغراضه ؛ وهي أغراض تشترك في كثير من الأحيان مع الشعر

وما يقال عن القالة يقال عن القصة في هذا الباب . فالأدب التمثيلي الشعري عند « شكسبير » قد حلت محله مسرحيات (برنادرشو) النثرية ، ومسرحيات « شوقي » حلت محلها مسرحيات « توفيق الحكيم »

وهناك شيء آخر له خطورته على تضييق دائرة التعبير الشعري وهو ما شاع في العصر الحديث من وسائل الثقافة الفنية المختلفة التي زاحمت الكتاب ، سواء ما كان منه شعراً أم نثراً ، وأخطر هذه الوسائل هي السينما والصحافة والمذياع .

وهكذا نلاحظ أن مجال الشعر قد أخذ يضيق ويضيق حتى أصبحت دائرته لا تكاد تجاوز التعبير عن الحالات التي لا يغني فيها عن التعبير الموزون تعبير سواه .

أما دعامة الشعر الثانية وهي التي تتصل بالقارىء فيبدو أنها الظاهرة التي أخافت الأستاذ « الحكيم » وجعلته يتساءل هذا التساؤل الوجل في « أخبار اليوم » ، فلسنا أن يذهب بالتعليل إلى أصوله القريبة والبعيدة

فالقراء اليوم مدبرون عن الشعر منصرفون إلى أدب السطوح لا الأعماق — إن صح هذا التعبير — .

وهذا حق — ولكن هـذا لا يعود باللائمة على القراء « الأغبياء ! » ، لأن المسألة راجعة في أصولها إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التي يحياها العالم اليوم ، فنحن نجوز فترة المخاض التي يضطرب لها كيان البشرية ، وتميد منها دعائمها وأركانها . فالشاكل الاقتصادية اليوم تحتل المكان الأول في نفس الانسانية المعاصرة ، وحتى مجيء اليوم الذي تحل فيه هذه الشاكل على نحو يرضي سنة التقدم ، ويشبع رغبة التطور ، فستظل مشاكل الفن وحاجات الروح مسائل ثانوية في (جدول الأعمال) .

إن الإنسان في هذه الحقبة من الزمن محتاج ليكسب عيشه إلى ساعات لا تقل عن الثمان ، هذا في الطبقة الوسطى ، أما في الطبقات الدنيا فهو في حاجة إلى أكثر من هـذا القدر بكثير أو قليل . فكيف تطلب إلى أمثال هؤلاء أن يخلوا إلى ديوان ليتذوقوا فيه قصيدة عصماء ؟ وهم ما زالوا يكافحون من أجل رغيف (أغر) ؟ ! إننا نطالبهم بالمستحيل . فهل من أمل في تغيير هذه الحال ؟ يخيل إلى أن الجواب هنا يجب أن يكون بالإيجاب ، فنحن مقبلون — على رغم العوائق — على العصر الاشتراكي ما في ذلك شك . والاشتراكية هي الأمل المرموق الذي تتطلع إليه شعوب العالم ، وتتمنى شوقاً إلى تحقيقه .

ويوم يعم العالم النظام الاشتراكي ، فان هذا الصراع من أجل العيش سينتهي إلى قرار ، وعندئذ تنطلق القوى الروحية المطمئنة لتعمل في كل أفق من الآفاق ، وإنها لرحيبة بعيدة الأغوار .

فنحن نستطيع بعد هذا كله أن نطمئن الأستاذ « الحكيم » على مستقبل الشعر ، لأن الرجاء في مستقبل روحي باهر هو رائد الانسانية المكافحة في هذا الجيل الذي نعاصره ، وإن كنا إلى جانب ذلك نعتقد أن الشعر سيضيق مجاله عند الحد الذي لا يغني فيه إلا القول الموزون . ولا خسارة هناك من هذا الأمر ، فان النقصان في هذا الفن سيزيده في ذاك ، وسيظل الشعر مشعلا من مشاعل الفن المضيئة المتلألئة التي يبهر بريقها الأنظار ، وإن علاه في هذه الحقبة شيء من الغبار .

ماهر فضيل
بطنطا الابتدائية

صورة طبق الأصل !

كثيراً ما أقرأ مقالا بعينه أو قصيدة بعينها في أكثر من مجلة واحدة في زمان واحد ومكان واحد ، كما وقع في كلمة الأستاذ أنور المعداوي حول كتاب « زوجات » للأستاذ الصاوي ؛ فقد تفضل الأستاذ الناقد فكتب كلمة حول هـذا الكتاب في مجلة (العالم العربي) عدد ديسمبر الجاري ، ثم أردفها بصورة أخرى (طبق الأصل !) نشرها في (الرسالة) الغراء عدد (٨٠٧) ، وهذا عين ما وقع في قصيدة الشاعر توفيق عوض (حب الشطق) فقد تفضل بنشرها في (الرسالة) عدد (٨٠٦) ، ثم في (الثقافة) عدد (٥٢١) . وبعد ، فلست أدري الحكمة من هذا التقليد الجديد ، كما أني أجهل أسبابه ومبرراته ودواعيه ونكتة البلاغة فيه

قد يجوز أن أنشر قصيدة في مصر ، ثم أنشرها بعينها في الحجاز ، أو في أي رقعة من رقاع (الجامعة العربية) ، وذلك لبعد الشقة ، ولروح المجلة ، ولتوثيق الصلات الأدبية بين أبناء القطر ... أما أن ينشر مقال ، وتنشر قصيدة ، في المكان الواحد والزمان الواحد ، في أكثر من مجلة واحدة ، فذلك ما لا يجوز ، أو قد يجوز ، ولكني على كل حال لا أعرف عبرة جوازه ... فأكون لمن يتفضل بالعبرة من الشاكرين !

(الزيتون) هرناند